



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة



المرجع :/2018

معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة و الآداب العربي

الخصائص اللغوية للقصيدة العربية في عصر الضعف و الإنحطاط قصيدة البردة للبوصيري أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي
تخصص : لسانيات عربية

الإشراف الأستاذ :

← محمد جغروود.

إعداد الطلبة :

← بسمة بوعنيقة.

السنة الجامعية: 2017-2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ، وَلَوْ لَمْ يَمْسَسْهُ نَارٌ نُورِ عَلَيٍّ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ بِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ
﴿ وَيَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

صدق الله العظيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني "

قال أحد الحكماء

"إن العلم بطيء اللزام بعيد المرام، لا يُدرك بالسهام ولا يُرى في المنام، ولا يُورث عند الآباء والأعمام، إنّما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تُغرس إلا في النفس، ولا تُسقى إلا بالدرس، ولا تُثبت إلا بإدمان السهر وقلة النوم
وصلة الليل باليوم"

شكر وعرفان

اللهم أسألك أن تلهمني شكر نعمك وتجعل علمي مخلصا لوجهك

فالحمد والشكر لجلالك وعظيم سلطانك

﴿وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب﴾ آية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿من لم يشكر النَّاسَ لم يشكر الله، ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له﴾

واقْتداءً بهذا الحديث الشريف أوجه شكري:

لعائلتي:

"التي شجعتني بالنفس والنفيس، وشجعتني على مواصلة العمل"

إلى أستاذي المشرف:

محمد جفروود

الذي أشكره جزيل الشكر على قبوله إشرافه على بحثنا هذا.

والذي غمرني بكرمه ونصائحه وتوجيهاته، وخاصة دعمه وتفهمه الكبيرين.

إلى الأستاذ الفاضل:

يوسف الأطرش

الذي لم يبخل عليّ بمعلوماته وإرشاداته ونصائحه

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد ولو بكلمة نصيحة أو دعاء.

الأهداء

علاء هدا

أبدأ بحمد الله الذي لا تزول نعمته، أحمده على نعمة العلم التي وهبني
إياها وأتار لي فيها ووفقتي في نيلها.

إلى معنى الحنان والحب، إلى سر وجودي وسعادتي، إلى أعز وأغلى الناس،
إلى التي كانت معي بدعائها وخوفها، إلى التي سهرت لمرضي وتعبت في تربيتي.
كل ما يجول بخاطري لا يوفيتها حقها وكل كلمات العالم لن تصف حبي واحترامي لها.
أمي الغالية أطال لي الله في عمرها.

إلى أعظم الرجال إلى الذي عمل جاهدا لإيصالي إلى هذا المستوى وتعب من أجل تعليمي
وتوفير كل ما أحتاجه لدراستي، حالما بأن يراني في أعلى المراتب
حاملة أعلى الشهادات...
أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى إخوتي: حسان، محمد، موسى.
إلى أختي الوحيدة والغالية: وفاء، دون أن أنسى الكتكوتة "آية"
إلى الغالية التي لم تبخل علي بالدعاء: خالتي عزيمة.
إلى العزيزة يسرى التي تعبت معي في كتابة البحث.

إلى حبيبتي ورفيقة دربي أختي التي لم تنجبها أمي، إلى من لم تتركني لحظة في إنجاز هذا
العمل، إلى من كانت السبب في راحتي وفرحي.
إلى عائلة "بلميلي" كبيرا وصغيرا.

إلى صديقاتي اللواتي قضيت معهن أحلى وأروع أوقاتي: ريمياء، منال، هاجر،
سماح، خولة، مروة.

إلى الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلبي إليهم جميعا أهدي بحثي هذا.

إيمان

مفيدة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد:

مما يجدر بالملاحظة أن هذا البحث كغيره من البحوث العلمية يحتاج إلى ما ينير سبيله، ويضيء مسالكه فكان لابد من مقدمة تكشف عن أهم معالمه وخصائصه.

قد حظى الأدب في العصور الجاهلية الأموية والإسلامية باهتمام جمهرة الباحثين إلى يومنا، ولم توجه جهود مماثلة إلى الأدب العربي في تلك الحقبة إعتقاداً بأنها كانت حداً فاصلاً بين قوة الدولة العربية الإسلامية ممثلة في الدولة العباسية، وبين ضعفها وانحلالها في عصور المماليك والعثمانيين، خاصة وأن الأدب واللغة في عصر المماليك شأنهما كثير من الغموض لقلة الدراسات المنهجية التي أجريت عن الأدب المملوكي، ولأن الفكرة العامة التي غلبت على الباحثين في العصور الأدبية كانت تصفه بالتخلف والضعف.

وكلا الأمرين، أي قلة الدرس والإهمال وجور الأحكام أو عدم انطباقها تماماً على الواقع، جعلت المثقفين وطلاب الأدب ينطبعون على أحكام ناقصة وتصورات غير واضحة عن هذا العصر وخصائص أدبه ولغته.

وبعد النظر تبين أن كثيراً من قضايا الأدب واللغة في ذلك العصر لم يعطى لها أهمية بالقدر الذي تستحقه، وربما يعود السبب إلى ضعف إنحطاط اللغة والأدب في ذلك العصر، والخصائص اللغوية في القصيدة العربية من بين هذه القضايا التي لم تعالج في باب اللغة، ولم تحط جميع جوانبها وصورها وضبط أحكامها ومظاهرها وخصائصها.

ورأينا أن هذه الدراسة جديرة كل الجدارة ببحث جديد تتحقق فيه هذه السمات؛ ومنه تبين أنه بعد الإستقراء لم أقف على مؤلف يجمع شتات مسائل هذا الموضوع في الأدب العربي، واستقر الرأي أن يكون عنوان هذا البحث: (الخصائص اللغوية في القصيدة العربية في عصر الضعف والإنحطاط)، وتم اختيار قصيدة -البردة- للبوصيري ليكون مدونة للدراسة.



قد تمحورت إشكالية هذا البحث فيما يلي: ماهي الخصائص اللغوية التي تتميز بها القصيدة في عصر الضعف؟ وكيف طبقها "البوصيري" في قصيدته؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يعد الأنسب لمعالجة مثل هذه الموضوعات مما تتميز به هذه الموضوعات من وصف واستقراء وتحليل للظواهر الأدبية عامة، وللظواهر اللغوية على وجه الخصوص.

فدرسنا هذه الظاهرة اللغوية دراسة منهجية على أصول البحث العلمي مستمدين قيمتها من أهمية اللغة العربية، وقد تم اختيار هذا البحث لأسباب منها:

✓ هذا البحث جديد في بابيه، حيث اننا لا نلعم من قام بدراسة الخصائص اللغوية للقصيدة العربية دراسة شاملة، لذا خصصناه بالبحث والتمحيص.

✓ إن مما شجعنا على البحث في هذا الموضوع تفرقه في كتب الأدب واللغة، فلم يجمع في مؤلف واحد وإنما هو شذرات متفرقة، فسعينا جاهدين إلى التنقيب والجمع والدراسة والعناية بما تحصل من ذلك، وإخراجه بالوجه الذي يليق به.

✓ إزالة فكرة أن العصر المملوكي عصر ضعف لا تجديد فيه، لذا نرجو أن يسد هذا البحث الثغرة المفتوحة ويكون تلك الحلقة المفقودة في الكتابة العربية.

قد واجهتنا في رحلة البحث عراقيل جمة، أولها أنه موضوع شبه أدبي ونوعا ما غامض وبعيد مجال الدراسة، قلة الدراسات المتخصصة في هذا الجانب وقلة المراجع التي تناولنا.

واقترضت طبيعة هذا البحث أن يكون في فصلين تسبقهما مقدمة، ولكليهما خاتمة، فهي تلخيص لأهم معالم البحث ونتائجه، تلي تلك الخاتمة قائمة المصادر والمراجع.

فتناولنا في الفصل الأول لمحة تاريخية عن عصر الضعف والإنحطاط، وفيه درسنا الحياة العامة للعصر المملوكي وحالة اللغة والأدب فيه، وفي نهاية الفصل تكلمنا عن الخصائص اللغوية للقصيدة العربية وعرفنا كلا منها.



أما الفصل الثاني فهو عبارة عن فصل تطبيقي للفصل الأول تناولنا فيه حياة "البوصيري" والخصائص التي اعتمدها في بناء بردهته.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من الكتب القديمة والجديدة، أما القديمة فنذكر منها: الديوان للبوصيري لمحمود سالم محمد، ولسان العرب لابن منظور، أما الجديدة فنذكر: تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، وموسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي لمفدي الزبيدي.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا بالإلمام لعناصر هذا البحث.



الفصل الأول:

عمر الضيف والإنحطاط والخصائص اللغوية فيه

المبحث الأول: عصر الضعف والانحطاط

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن عصر الضعف والانحطاط

لقد دخل مفهوم الانحطاط حيز التداول بشكل رشيق من خلال الدراسات التي قام بها المستشرقون في ق 20 و تابعهم الباحثون العرب في دراساتهم عن الادب العربي وعمد الباحثون العرب الاوائل في تاريخ الادب العربي ممن كان لهم دور كبير في صناعة مناهج التعليم في مصر، و من بعدها الدول العربية امثال. حسن توفيق العدل، واحمد الاسكندري و احمد حسن الزيات و محمد المرصفي وغيرهم في تكريس نظرية تقسيم العصور الادبية العربية الخماسي المراحل : أولا عصر الجاهلية ثم عصر ابتداء الاسلام ثم عصر الدولة العباسية والأندلس ثم عصر المماليك والعثمانيين الذي يمثل عصر الانحطاط وأخيرا عصر النهضة¹.

يعد عصر دولة المماليك في مصر و بلاد الشام فترة مهمة من تاريخ العالم الاسلامي في الفترة الممتدة من 648هـ-923هـ / 1250م-1571م، تلك الدولة التي استطاعت أن تمتد نفوذها من بلاد مصر إلي بلاد الشام و في الشمال الشرقي، وحتى الحجاز و اليمن في الجنوب و الجنوب الغربي، حكمت أكثر من قرنين و نصف من عمر العرب والمسلمين في مرحلة مضطربة و مليئة بالأحداث الجسيمة، إذ تكون عصرا بين مرحلتين هامتين، المرحلة الأولى تاريخ الخلافة العباسية في بغداد ومجيء المغول وغزوهم عام 656هـ/1208م، والمرحلة الثانية ظهور الوجود العثماني في الوطن العربي عام 1517م وبدء مرحلة جديدة من تكوين العرب الحديث استمر زهاء أربعة قرون من الزمن².

<https://:char3iyaasill.skyrock.com> 1

2 مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2003، ص03.

ودولة المماليك فرعان قاما في مصر : فرع المماليك البحرية الذي امتد حكمه من سنة 648هـ-784هـ/1250م-1382م، ثم فرع المماليك البرجية الذي امتد حكمه من سنة 784هـ-923هـ/1382م-1517م.¹

يرى الكثير من المؤرخين أن قيام دولة المماليك اقترن باسم شجرة الدر زوجة السلطان الايوبي الملك "الصالح نجم الدين أيوب"، التي تولت الحكم بعد وفاته، من ذلك قول "المقريزي" : "إن شجرة الدر أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، فهي أولى سلاطين المماليك في مصر، وذلك لأنها كانت جارية تركية الجنس اشتراها الملك الصالح أيوب، وحطبت عنده حتى أعتقها و تزوجها ...".²

1 عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ج03، 2008، ص602.
2 تقي الدين المقريزي، السلوك لمعرفة دولة الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ص261.

وقد تنوعت الحياة العامة للعصر المملوكي فتجلت فيما يلي :

أولاً: الحياة السياسية

يعود وجود المماليك في العالم الإسلامي إلى عصر الخليفة العباسي المأمون، وذلك حينما أهدى إليه أسيره " نوح بن أسد السماني " المملوك التركي طولون مع مجموعة من الرقيق سنة 200 هـ، حيث اتضح تأثيرهم في الحياة السياسية حينما تمكن " أحمد بن طولون " من الوصول إلى سدة الحكم وتأسيس الدولة الطولونية في مصر سنة 254هـ، وقد اعتمد " بن طولون " على المماليك في تدعيم أركان دولته.¹

فقد كان المملوك يشتري من تجار الرقيق صغيراً، و يرّى تربية خاصة تقوم على المهارة العسكرية، ودراسة علوم الدين، حتى إذ بلغ الشباب وأنهى تدريبه تحرر من الرق، وبقي على الارتباط بسيده يخدمه ويخلص إليه .

وقد أعطت انتصارات المماليك على الصليبيين و المغول دولتهم الشرعية التي تقتصر إليها، فكانت دولتهم وليدة الإنتصارات التاريخية الحاسمة، ولترسيخ هذه الشرعية أحيوا الخلافة العباسية، وأمضى المماليك مدة حكمهم في صراع خارجي وداخلي، فالفرنجة طلوا يشنون الغارات على التغور الشامية والمصرية والمغول في محاولاتهم غزو بلاد الشام ، ومع تقدم الوقت تصدى المماليك للبرتغاليين الذين أفسدوا على الدولة المملوكية تنظيم التجارة بين الشرق والغرب، ثم اختلفوا مع العثمانيين الذين قضوا على الدولة المملوكية.²

لقد ازداد الاعتماد على المماليك في أواخر العصر الفاطمي، وأصبحت كلمتهم مسموعة عند الخلفاء الفاطميين المتأخرين، كما برز دورهم في مجريات الحياة السياسية بعد وفاة " صلاح الدين الأيوبي "، عندما تنازع ورثته على السلطة، حيث قسّمت البلاد بين الورثة و سعى كل منهم إلى تدعيم سلطانه بشراء المماليك وتدريبهم على أساليب القتال ثم الاعتماد

1 خليل خالد أبو علي، الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، دار المقداد للطباعة، ص03.

2 محمود سالم محمد، الأدب المملوكي والعثماني، جامعة دمشق بيروت، حقوق الطبع والتصوير محفوظة للناسر،

1999م، ص07.

عليهم في الجيش، الأمر الذي يساعد على ظهور المماليك كقوة حربية ذات نفوذ وتأثير في مجريات الحياة السياسية .

وهذا كله لا يعني قيام دولة شرعية مستقلة تختص بالمماليك، إلا أن تحقق قيام مثل هذه الدولة لم يطل انتظاره ، فما أن يتوفى الملك " الصالح نجم الدين أيوب " ، ويقتل ابنه المعظم " تورانشاه " على يد ممالك أبيه حتى تدخل شجر الدر معترك الحياة السياسية، وتبدأ فصول التحول من الحكم الأيوبي إلى الحكم المملوكي .¹

وظل المماليك في صراع دائم على السلطة، لأن نظام تولي الحكم لم يكن واضحا و ثابتا، وكانت السلطة من نصيب الأمير القوي الذي يستطيع انتزاعها، وشهد العصر المملوكي حركات كثيرة وثورات مناوئة لحكمهم، منها ما قام به العرب لأنهم أنفوا من الخضوع لمماليك مسهم الرق، غرباء عن البلاد، لكن جميع الثورات لم تنجح و استطاع المماليك القضاء عليها بشدة .

كان حال الدولة المملوكية مرتبطا بالسلطان، فإذا كان السلطان قويا قادرا على إخضاع المماليك، ساد الدولة الأمن و الاستقرار، وتحققت الإنجازات الكبيرة فيها، وإذا كان السلطان ضعيفا عمّت الفوضى و انتشرت الفتن و لاقى الناس الويلات .²

ثانيا: الحياة الإجتماعية

لم يكن المجتمع المملوكي مجتمعا متمجانسا، تتساوى فئاته في حقوقها وواجباتها بل كان مجتمعا طبقياً إقطاعياً، الفارق فيه كبير بين الحكام والمحكومين لا تربطهم رابطة الدين، وقد استأثر المماليك بالسلطة والثروة، ولم يشركوا غيرهم بالحكم إلا بمقدار ما يحتاجون إليه. فاختلقت وجهات نظر المؤرخين في تقييم واقع الناس الإقتصادي في العصر المملوكي

1 خليل خالد أبو علي، الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، الجامعة الإسلامية، دار المقداد للطباعة، غزة، 2007، ص 03.

2 محمود سالم محمد، الأدب المملوكي والعثماني، جامعة دمشق، بيروت، حقوق الطبع محفوظة، ط 1، ص 08.

وتبيانت أراؤهم في عدد طبقات المجتمع، "فابن خلدون" مثلاً يقسم أفراد المجتمع إلى طبقتين متميزتين هما الطبقة الحاكمة، وتشمل السلطان والأمراء والوزراء وقادة الجند وكبار موظفي الدولة، وطبقة الرعية، وتشمل كل فئات الشعب¹.

وإذا كان "ابن خلدون" قد ساوى في الطبقة الحاكمة بين السلطات وقادة الجند وكبار موظفي الدولة، وساوى بين الطبقة الرعية وبين الأثرياء والفقراء وتجاهل الفروق الاقتصادية والاجتماعية بين شرائح المجتمع المختلفة، وصبَّ جلاً اهتمامه على إظهار الفجوة الشاسعة بين الطبقة الحاكمة والرعية، فإن "المقريزي" توسَّع في تقسيم فئات المجتمع، وجعلها سبعة أقسام، هي:

- القسم الأول: أهل الدولة.
- القسم الثاني: أهل السيار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية.
- القسم الثالث: الباعة، وهم متوسطو الحال من التجار ويقال لهم أهل البز، ويلحق بهم أهل المعاش وهم السوق.
- القسم الرابع: أهل الفلح، وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف.
- القسم الخامس: الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم، والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم.
- القسم السادس: أرباب الصنائع والأجراء وأصحاب المهن.
- القسم السابع: ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤل الذين يتكفون الناس ويعيشون منه².

1 ابن خلدون، المقدمة، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، 1321هـ، ص183.

2 خليل خالد أبو علي، الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، دار المقداد للطباعة، ص28.

السمة العامة للمجتمع في العصر المملوكي هي التدين، وقد تجلت في حركة الجهاد وإحياء الخلافة وانتشار التصوف، ومظاهر الإحتفال بالأعياد الدينية، ولا يعني هذا أن هذا المجتمع لم يعرف المفاصد، بل عرفت فيه مفاصد كثيرة، منها شرب الخمر وتعاطي الحشيش المخدر وضمان أماكن الفسوق، وكان يجهر بها أحيانا وتستر أحيانا أخرى. وشاعت أيضا الخرافات والشعوذة التي اشتعل بها الناس.

وظلت هذه الظواهر الإجتماعية قليلة ولم تغلب على المجتمع ولكنها كانت موجودة وظهر أثرها في الأدب. فالجانب الإجتماعي من العصر المملوكي بالمتناقضات والتناظر الإجتماعي الذي كان يتلاشى عندما يدهم الدولة خطر خارجي، وتتعاون كل فئات المجتمع على رده¹.

ولا ننسى أن كبار العاملين عاش في الجهازين الإداري والمالي للدولة حياة الترف والبذخ، وأكثر بعضهم من اتخاذ العنمان والخدم والجواري، إذ بلغت الرواتب الشهرية للكتاب مائتين وخمسين دينارا إضافة إلى بعض المخصصات من الخبز واللحم... وكان لبعضهم إقطاعات ونصيب من الأوقاف² الأمر الذي ألب عليهم الشعراء من ذلك قول البوصيري:

تكلت طوائف المستخدمين	فلم أرى فيهم رجلا أمينا.
فخذ أخبارهم مني شفاها	وانظري لأخبرك اليقيناً.
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم	مع التجريب من عمري سنينا
حوت بليس طائفة لصوصا	عدلت بواحد منهم مئينا ³ .

1 ابن نباتة، شاعر العصر الأموي، محمود سالم محمد، الأدب المملوكي والعثماني، ص 09.

2 خليل خالد أبو علي، الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، دار المقداد للطباعة، ص 33.

3 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، دار المقداد للطباعة، غزة، 2005م، ط4، ص 45.

ثالثاً: الحياة الاقتصادية

لقد عمل المماليك منذ اللحظة الأولى التي وصلوا فيها إلى سدة الحكم على التصدي للأخطار الخارجية التي كانت تتهدد دولتهم، والقضاء على الفتن والثورات الداخلية التي استهدفت استقرار ملكهم. وقد بذلوا قصارى جهودهم لتوفير الأمن والأمان لرعاياهم، وإرساء دعائم الإستقرار في أرجاء دولتهم في مصر والشام، وقد على ذلك قوتان: القوة الدينية التي تجسدت في تصديهم للدفاع عن الدين الإسلام في وجه الصليبيين والتتار وتحرير المقدسات، والإهتمام ببناء دور العبادة والإحتفاء بالعلماء، وقوة جيشهم وحسن تنظيمه، والإعتناء بالجنوب وتخصيص الإقطاعات الزراعية التي تكفل لهم الحياة الكريمة، سيرا على ما كان معمولاً به أيام الأيوبيين، حيث كانت الأراضي الزراعية في مصر مقسمة إلى أربعة وعشرين قيراطاً¹.

رزقت الدولة المملوكية بلادا خصبة عرفت بزراعتها المزدهرة منذ القدم، وكانت الأرض ملكاً للمماليك. وكان الفلاحون عبيداً مربوطين بالأرض ليس لهم من جهودهم إلا القليل، وذهب هذا القليل في الكوارث الطبيعية مثل: الجفاف، الفيضان وموجات الجراد.

أما الصناعة فقد ازدهرت لتلبي حاجة المماليك الذين استأنثروا بالثروة فالتفتوا إلى الكماليات والبناء، ونهضت الصناعة بحاجة الجيش إلى السلاح والسفن ليواجه الغزوات الكبيرة التي استهدفت مصر وبلاد الشام. وعرفت في العصر المملوكي صناعة السكر وبنيت لها المعاصر الكثيرة².

أما التجارة كانت المورد الأول للدولة بسبب موقعها الذي يتوسط العالم القديم، وسيطرتها على طرق التجارة بين الشرق والغرب، وقد وفر المماليك للتجار ما يسهل وصولهم إلى الدولة والإقامة فيها.

لكن التجارة تأثرت بالإضطرابات والحروب وثقل الضرائب والتلاعب بالنقد وتزييفه.

1 خليل خالد أبو علي، الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، ص 20.

2 محمود سالم محمد، الأدب المملوكي والعثماني، ص 10.

رابعاً: الحياة الثقافية

عرف العصر المملوكي حركة ثقافية جيدة، وشهد عوامل تنهض بالنشاط الثقافي فمن العوامل التي نهضت بالثقافة الحروب العاتية التي تثير العواطف وتبعث على القول. وقد حظيت الدولة المملوكية بظرف خاص أفاد الحركة الثقافية وهو هجرة العلماء المسلمين من مشرق البلاد الإسلامية ومغربها إليها.

انتشر في العصر المملوكي ضربان من التعليم: الأول هو التعليم في المساجد والثاني هو التعليم في المدارس فقد عمت المدارس حواضر البلدة وحسبت عليها الأوقاف الكبيرة التي تعي بحاجتها وكان مشيدوها يعينون لها المدرسين¹.

المطلب الثاني: حالة اللغة العربية في هذا العصر

لما اكتسح التتار ممالك الدولة العباسية وخربوا البلاد وقتلوا العباد وأبادوا الكتب، افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرقي أوربا، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا وشرعوا يخدمون الإسلام لتقريب العلماء إليهم وترغيبهم في التأليف فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لكان العجمة منهم، أما علوم العرب وأدبها فلم يكن لها مباءة ترجع إليها الدول العربية كالشام ومصر فأصبحت القاهرة هي المثابة الأخيرة للعرب والعربية.

لقد كانت تركية وشركسية ولكن لم يكن لجنودها عصبية قوية تجعل لغتهم تزاحم العربية فبقيت بطبيعة الحال اللغة الرسمية والعربية، وأصبح العلماء هم رجال الإدارة والكتابة والقضاء وغيرها من المناصب الملكية، إذ كان أكثر المماليك جنوداً أميين، غير أن تلك الحال لم تدم أكثر من مدة المماليك وصدر الدولة العثمانية الوارثة لهم، ثم أصبحت اللغة التركية العثمانية هي اللغة الرسمية للأعمال الديوانية والسياسية في جميع المماليك العثمانية، فزاحمت العربية مزاحمة ظهر

أثرها بينا في تحرير الرسائل الديوانية والمعاهدات السياسية، ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية¹.

2 المرجع نفسه، ص11.

وهذا من أهم الأسباب التي استبقت اللغة العربية حية متداولة، بل نابضة نامية تؤدي حاجة الدولة وحاجة الناس في شتى الميادين.

وقد كان حكام البلاد أعاجم عن العربية فهم بفطرتهم لا يغارون عليها ولا يعطفون على أهلها ولا يشجعوا علومها وآدابها².

ولكن الظروف القاهرة التي كانت تحيط بهم دفعتهم إلى العناية بها وتشجيع أهلها، ذلك لأن لغتهم التركية كانت إلى ذلك الصين قاصرة عاجزة عن أن تؤدي حاجة الدولة ودواوينها المختلفة، وتقوم بشؤون القضاء والفتوى والتعليم وما إلى ذلك.

بينما كانت العربية مطوعة ممرنة على ذلك منذ أمد بعيد، هذا فضل عن أنهم كانوا يحكمون شعوباً عربية ولا يمكن أن يتم التفاهم بينهم إلا بلغتهم، لهذا اتخذوا العربية لغة رسمية في دواوين الدولة، واستخدموا في هذه الدواوين عدداً من المتعممين متخذ في المساجد لمزاولة المكاتبات العربية التي تحتاج إليها الدولة. وكان ألمع دواوينها حينذاك ديوان الإنشاء الذي اختص بالكاتبات الديوانية العليا. وكان يختار للعمل فيه أبرع أصول اللغة والأدب والكتابة، وقد كان ذلك كله سبباً في رواج العربية والقصاص داخل الدواوين وبخاصة في كتابة المراسلات والوثائق العليا وسبباً في ظهور طبقات ممتازة من رجال اللغة والأدب والإنشاء³.

1 أحمد الإسكندري، مصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، وزارة المعارف العمومية، ط1، مصر، 1919م، ص241.

2 محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1957م، ص13.

3 محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1957م، ص15.

المطلب الثالث: أدب عصر الضعف والإنحطاط

كان هذا العصر جدير بأن تقوم فيه نهضة أدبية، فالعدو رابض في البلاد والمجاهدون من الحكام وغيرهم يحاولون دفعه وطرده، وكانت دولة تسقط وأخرى تقوم وبلاد تتمزق ثم تتحد وعقائد دينية تسيطر ثم تحل محلها عقائد أخرى فيحزن جماعة ويفرح آخرون.

وكان بعض الحكام يحبون الأدب ويكافئون عليه وينقدونه ويتفقون به، وبعضهم ينظم ويكون له دواوين ويشجع على النظم والتأليف، وكان بعض السلاطين يقومون ببطولات جعلت الشعراء يلتفون حولهم.

وكان الإهتمام بالشعر أكثر منه بالنثر لأنه كان أكثر شعبية وتعبيرا عن عواطف الجماهير حينئذ، أما الرسائل الديوانية فكانت تعبيرا رسميا عن شؤون الحكومات في ذلك العصر، كان الشعر آنذاك يقوم مقام الصحافة السياسية. وقد عني بعض الأدب العربي على اختلاف ألوانه حينئذ من شعر ورسائل ديوانية، وخطب حماسية، وكتب في الجهاد والفروسية، أو في فضائل البلاد العربية¹.

وقد حفز المماليك الأتراك على العناية بالشعر ما حفز أسلافهم الفاطميين والزنكيين والأيوبيين، بالإضافة إلى أنهم كانوا يريدون أن يرفعوا من قدر أنفسهم لما كانوا عليه من رق حتى يشيد الشعراء لمآثرهم وينسوا الناس ماضيهم فظهر أمثال "الشرف الأنصاري" و"الشهاب محمود" في بداية عهدهم حتى وفاة الملك الأشرف خليل، ثم نلاحظ في عهد المماليك سوء أثر الحياة العامة وأحداثها في الأدب شعره ونثره فكان من صفاته:

- الضعف الموضوعي الذي يظهر في اختيار المعطوعات غالبا للتعبير عن فكرة قصيرة.
- لهلة البناء والصياغة التي نشأت عن ترخي السهولة وعدم الرغبة في بذل الجهد.

1 نعيم الحمصي، نوفهم جديد منصف لآداب الدول المتتابعة وتاريخه، ج1، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سوريا، 1982م، ص171.

2 نعيم الحمصي، نوفهم جديد منصف لآداب الدول المتتابعة وتاريخه، ج1، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سوريا، 1982م ص184-185.

- قلة الأبتكار والميل إلى التضمين والإقتباس².

وقد ضعف أيضا الأدب في هذا العصر عما كان عليه في العصور السابقة ولم ينل حظا من التقدم مثل ما نالته بعض العلوم أو الفنون في عصر المماليك ويرجع ضعفه إلى الأسباب التالية:

- اضطراب الحياة السياسية.
- سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.
- عدم تشجيع الحلفاء والحكام وذوي الجاه للشعراء بالمنح والعطايا.
- ضياع مجموعة من الكتب والدواوين خلال هجومات الصليبيين والمغول.
- إلغاء ديوان الإنشاء كان كتابه يقومون بإعداد الرسائل الديوانية بأسلوب أدبي رصين.

ونتيجة هذه الظروف تضائل عدد الشعراء الأكفاء، وانصرف معظمهم إلى حرف يشتغلون بها، وظهر كثير من المتطفلين على الشعر الذين لا يملكون مواهب أصلية ولا يقدرّون على التعبير الشعري الجيد، ومع قلة الشعراء المقتدرين كان الجيد من إنتاجهم قليلا، وداروا في دائرة ضيقة من أغراض الشعر، هذا وقد عرف بعض الشعراء في تصوير المتع الحسية، هربا من واقعهم الأليم وتطلع آخرون إلى نعيم الآخرة يلتمسون في التعويض عن حرمانهم، فكثرت شعرهم في الزهد والمدائح النبوية والتصوف. وانحصر النثر الفني في الكتابة الديوانية والرسائل الإخوانية التي حالت بدورها إلى الركافة والإبتدال وأصبحت متكلفة ثقيلة.

ظهر شعر الزهد كرد فعل لتيار اللهو والمجون والإنحلال والتترف والخمر، موضوعاته تصب في اتجاه الدعوة إلى الاستقامة والإستعداد للموت وإصلاح النفس، والإتصاف بالتقوى والزهد يكون بدافع ديني أو لضيق حال، وفي عصر الضعف كان أميل إلى صنعة النظم منه إلى الإبداع، من رواه: ابن الوردي والبوصيري¹.

وكان المديح النبوي الهدف للتصدي لتيا اللهو والمجون والدفاع عن العقيدة الإسلامية والدعوة إلى التمسك بالإسلام والسير على مبادئه، وهو غرض شعري قديم ظهر منذ صدر الإسلام. ارتبط بإظهار محاسن الدين وصفات وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأشهر من نظم فيه البوصيري في قصيدته البردة.

المبحث الثاني: الخصائص اللغوية للقصيدة العربية في عصر الضعف والإنحطاط

إنّ أدب عصر الضعف والإنحطاط كغيره من العصور له سماته ومميزاته وخصائصه، وقصيدة البردة تتناول الكثير من الخصائص اللغوية من حيث ألفاظ الشاعر وتراكيبه اللغوية وصوره ومعانيه، والموسيقى والجوانب التصويرية، ومن بين هذه الخصائص نذكر :

المطلب الأول: التجنيس

أولاً: تعريف التجنيس

(1) لغة: جاء في لسان العرب لبن المنظور: « الجنس: الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير، ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة.

قال ابن سيدة: وهذا على موضوع عبارات أهل اللغة وله تحديد، والجمع أجناس وجنوس... والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن تمييز له ولا عقل. والإبل جنس من البهائم العجم، وإذا واليت سنا من أسنان الإبل على حدة وقد صنفتها تصنيفاً كأنك جعلت بنات المخاض منها صنفاً وبنات اللبون صنفاً والحقاق صنفاً، كذلك الجذع والثني والربع، والحيوان أجناس: فالناس جنس، والإبل جنس، والبقر جنس، والشاء جنس، وكان الأصمعي يدفع قول العامة: هذا مجانس لهذا إذا كان من جنسه، ويقول: ليس بعربي صحيح ويقول: إنه مولد. وقول المتكلمين: الأنواع مجنوسة للأجناس كلام مولد لأن مثل هذا ليس من كلام العرب. وقول المتكلمين: تجانس الشيطان ليس بعربي أيضاً إنما هو توسع، وجيء به من جنسك أي من حيث كان والأعرف من حسك.

التهذيب: ابن الأعرابي: الجنس جمود. وقال: الجنس المياه الجامدة¹.

(2) اصطلاحاً: عرفه ابن المعتز بقوله: «وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيته شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج1، م1، ص700.

كتاب الأجناس عليها... وتكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشق منها¹، ومثال ذلك قول البوصيري في برده:

من لي يرد جماح من غوايتها كما يرد جماح الجبل باللجم.

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى، مثل قول البوصيري: إن هوى ما تولى يُصنم أو يَصِيح.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾²، وقال أيضا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾³، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عُصِيَّةٌ⁴ عصت الله، وغفار⁵ غفر الله لها) وقال: (الظلم ظلمات)⁶.

1 أبو العباس عبد الله ابن المعتز، **البيدع**، تحقيق عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص36.

2 النمل -44.

3 الروم -43.

4 عصية: اسم قبيلة من سُلَيْم.

5 غفار:

6 أبو العباس عبد الله ابن المعتز، **البيدع**، ص36.

ثانياً: أنواع التجنيس

ينقسم التجنيس إلى عدة أنواع وهي:

✓ **تجنيس التركيب:** هو ما تماثل ركناه، وكان أحدهما كلمة مفردة والآخر مركباً من كلمتين

فصاعداً، كقول أبي الفتح البستي:

أرؤم في أيام غيرك بسطة في الجاه لي إني لعيني جاهل.

وهذا ما يسمى من فروع المركب الثلاثة: المفروق.

✓ **تجنيس المطلق:** وسماه قوم: "تجنيس المشابهة" كالسكاكي وغيره، فهو ما اختلف في

الحروف والحركات، فاشتبه بالمشترك الراجع معناه إلى أصل واحد وليس ذلك من أصناف

التجنيس، كقوله تعالى: ﴿أَزْفَتِ الْأَرْفَةَ﴾¹ وقد غلط فيه أكثر المؤلفين وعدوه تجنيساً، كقول

البوصيري:

دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم.

ومثال المشبه به قوله تعالى: ﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَؤُسْفَ﴾².

✓ **تجنيس التفتيق:** والملفّق ما تماثل ركناه وكان كل واحد منهما مركباً من كلمتين فصاعداً،

وقليل من أفرد هذا الصنف عن صنف "المركب" إلا المحققون كالحاتم وابن رشيق وأمثالهما،

وهو من أحسن الجناس موقعا، وأصعبه مسلكا، ومثاله قول البستي:

إلى حتفي سعى قدمي أرى قدمي أراق دمي.

وهذا سُمح في هذا النوع باختلاف الحركات لعزّة وقوعه³.

✓ **تجنيس المذيل واللاحق:** و"المذيل" ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في آخره، وكان اه

كالذيل، كقولهم: «العار ذل العارف»، ومثاله من قصيدة البردة:

1 النجم -57-.

2 يوسف -84-.

3 صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ط1، تحقيق نسيب نشاوي، دار صادر،

بيروت، 1982، ص60.

ورأوته جبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شم .

أما "اللاحق" فهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بغيره من غير مخرجه ولا قريب منه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٍ. وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾¹، فمتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه أو مما يقاربه سمي مضارعا، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾²، ومثال اللاحق في قول البوصيري:

كالزهر في تريف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم.

✓ التجنيس التام والمطرّف: والتام هو أكمل أصناف التجنيس، وأعلىها رتبة، وهو أولها في الترتيب الأصلي، وهو ما تماثل ركناه لفظا وخطا، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْسَمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾³، وقيل لسبب في القرآن الكريم من صنف التام سوى هذه الآية الكريمة، ومثاله في قول البوصيري:

فاق النبيين في خُلق وفي ولم يدانوه في علم ولا كرم.

أما المطرّف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في طرفه الأول، ويسمى أيضا المردّف والناقص، وفي تسميته اختلاف كثير، وخير الأسماء ما طابق المسمى، ومثاله أيضا جاء في قصيدة البردة للبوصيري:

كم حسبت لذت للمرئ قاتله من حيث لم يدر ان السّم في الدّسم .

✓ المصحف والمحرّف: والمصحف ما خالف أحد ركنيه الآخر بإبدال حرف على صورة المبدل منه في الخط، ليكون النقط فارق بينهما في تغايره غالبا كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾⁴، وقول البوصيري:

فالصدق في الغار والصدّيق لم يرما وهم يقولون: ما بالغار من أرم.

1 العاديات -07-.

2 الأنعام -26-.

3 الروم -55-.

4 الكهف -105-.

أما المحرف فهو ما تماثل ركناه في الحروف، وتخالف في الحركات، فيكون الشكل فارق بينهما، كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهم كما حسّنت خُلُقِي حَسَنَ خُلُقِي)، وكما قال البوصيري:

أكرم بَخْلُقِ نبي زانه خُلُقِ
بالحسن مشتمل بالبشر متسم.

✓ **التجنيس اللفظي والمقلوب:** اللفظي هو تماثل لفظاه واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطأ بإبدال حرف منه بآخر يناسبه لفظاً، كما يكتب بالطاء او الضاد، في مثل قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.¹

أما المقلوب فهو ما تساوت حروفه في العدد والوزن، وتخالف ركناه في الترتيب، كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) مثال ذلك قول البوصيري دائماً: ولا التمت غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم.

✓ **المعنوي:** والمقصود به تجنيس الإضمار وهو أن يضم المتكلم ركني التجنيس، ويذكر ألفاظاً مرادفة لأحدهما، فيدل المظهر على المضمّر،² كقول أبي بكر بن عبدون: وقد اصطبج بخمرة وترك بعضها إلى الليل فصارت خلا:
ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت.

المطلب الثاني: التكرار اللفظي

تعريف التكرار اللفظي:

- **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: «كرر، الكر؛ الرجوع، يقال: كره وكر بنفسه، يتعدى ولا يتعدى، والكر مصدر كر عليه يكر عليه يكر كرا وكرورا وتكرارا: عطف وكر عنه: رجع، وكر العدو يكر، ورجل كرا ومكر، وكذلك الفرس، وكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. والكرّة: المرّة، والجمع الكرّات، ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه، وكركرته عن كذى كركرة إذا رددته والكر: الرجوع إلى الشيء، ومنه التكرار. ابن بزرج: التكرّة بمعنى التكرار، وكذلك الترة والتضرة والتدرة. الجوهري: كررت

1 القيامة 23/22.

2 صفي الدين حلي، شرح الكافية البيعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ص 66-67-68.

الشيء تكريرا وتكرارا، قال أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمر: ما بين تفعال وتفعال؟ فقال: تفعال اسم وتفعال بالفتح مصدر»¹.

- اصطلاحا: «إعادة اللفظ لتقرير معناه، ويستحسن في مقام نفي الشك، كقول البوصيري:

سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر في رآج من الظلم.

أو مقام التعظيم في قوله أيضا:

كيف تدعو إلى الدنيا ضرورة لولاه لم تخرج الدنيا من العدم.

أو التتويه في قوله:

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم.

أو الإستعذاب لاسم المذكور كقول آخر:

فيا ليت لبني لم تكن لي خلية ولم تلقني لبني ولم أدري ماهيا.

أو لتوكيد المدح كما جاء في قصيدة البردة:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قده ما شئت من عظم.

أو التوبيخ كقوله:

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا فصول حتف لهم أدهى من الوخم.

أو التهذيب كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ﴾²، وقال أيضا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾³.

وقد قسم "ابن رشيق" التكرار إلى لفظي مثل ما ذكرنا سابقا، وإلى معنوي ومثال ذلك قول امرئ القيس:

1 ابن منظور، لسان العرب، م5، ج43، ص3851.

2 الحاقاة 21.

3 التكاثر 43.

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شذت ببذبل.

أما "صفي الدين الحلي" فقد عرفه في كتابه بقوله: «وهو أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها لتأكيد الوصف والمدح أو غيره من الأغراض، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَنَزُولِ الْجِبَالِ﴾¹، وقوله أيضا: ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾²، وقد ذكرت في القرآن الكريم عدة مرات.³ ومثاله قول البوصيري في برده:

كأن بالنار ما بالماء من بلل حزننا، وبالماء ما بالنار من ضرم.

المطلب الثالث: إلزام ما لا يلزم

تعريف إلزام ما لا يلزم:

- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: «لزم، اللزوم: معروف. والفعل لزم يلزم. والفاعل لازم والمفعول به ملزوم. لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما، ولازمه ملازمة ولزاما، والتزمه وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لزمة: يلزم الشيء فلا يفارقه. واللزام: الفيصل جدا. قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، ﴿وَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي عذابا لازما بكم.

واللزام: مصدر لازم بفتح اللام. مصدر لزم كالسلام بمعنى سلم، فمن كسر وقع موقع ملازم واللزام: الموت والحساب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ معناه لكان العذاب لازما لهم. والتزم: فيصل الشيء من قوله: كان ازاما فيصلا، وقال غيره: هو من اللزوم. الجوهري: لزمته به ولازمته واللزام: الملازم: المغالق. ولأزم: فرس ونيل ابن عوف.⁴

1 ابراهيم -46-

2 الرحمان -13-

3 صفي الدين حلي، شرح الكافية البدعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ص134.

4 ابن منظور، لسان العرب، م5، ج45، ص4027-4028.

- **إصطلاحاً:** وهو أن يجيء قبل حرف الروي في الشعر وما في معناه من الفاصلة في النثر ما ليس بلازم في مهيب السجع، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وَإِخْوَانِهِمْ يَجِدُونَهُمْ فِي الْعِنَى ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾¹، وقوله جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾².

وهو أيضاً من إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما سبب له، مثل قول البوصيري:

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلّت المرعى فلا تسم.

كم حسبت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم.

وجاء في كتاب "صفي الدين الحلي" هو أن يلتزم الناثر في نثره أو الشاعر في شعره قبل حرف الروي حرفاً آخر فصاعداً على قدر قوته، مشروطاً بعدم التكلف، ومثال ذلك قول البوصيري:

أستغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلاً لذي عقم.

أمرتك الخير لكن ما اتتمرت به وما استقمت، فما قولي لك استقم.

فالمزم قبل الميم هو القاف، وهو غير لازم وسماه قوم بالإعنات.³

المطلب الرابع: الإيقاع الموسيقي

أولاً: تعريف الإيقاع الموسيقي

- **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: «الإيقاع من إيقاع اللحن، والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل -رحمه الله- كتاباً من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع».

فمن الإستعمالات التي وردت في مادة (وقع) في لسان العرب: "الوقعة": النوم في آخر الليل و"الوقعة": صدمة الحرب، والتوقيع: رمي قريب لا تباعده كأنك تريد أن توقعه على شيء والتوقيع: إصابة المطر بعض الأرض وخطائه بعض.⁴

1 الأعراف 201\202.

2 الضحى 10\9.

3 صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن لبديع، ص 203.

4 ابن منظور، لسان العرب، ج 52، ص 4897.

- اصطلاحاً: إنّ معظم العلماء والباحثين يتفقون على أن الإيقاع بمفهومه العام يعد من أكثر المفاهيم غموضاً قديماً وحديثاً، إلى حد أننا لا نجد تعريفاً جديداً واضحاً له، ورأوا فيه معضلة مصطلحاً ومفهوماً لأنه من الأمور التي لا تتحدد بالوصف، فمنهم من رأى فيه ظاهرة قديمة عرفها الإنسان وتعددت مظاهرها في اختلاف الليل والنهار وفي حركة الكائنات قبل أن يعرفها في تكوينه العضوي، والتي جسدها في حركات جسمه ونبرات صوته، أو في تعاقب الشهيق والزفير عنده، وانتظام ضربات قلبه، وشبيه بهذا ما ذكره "زكي نجيب محمود" إذ يرى: أن الإيقاع على فترات متساوية، ظاهرة مألوفة في طبيعة الإنسان نفسه، فبين ضربات القلب انتظام، وبين وحدات التنفس انتظام...¹

فالإيقاع مصطلح موسيقي ينصب على مجموعة من أوزان النغم، فهو مركب موسيقي يشتمل على أوزان غير متساوية، وهو جانب الموسيقى في الشعر، والوزن صيغة آلية، والإيقاع إبداع جمالي.

وهو اضطراب الفترات الزمانية التي يقع فيها أداء صوتي ما، بحيث يكون لهذا الأداء أثر سار للنفس لدى سماعه.²

ثانياً: الخصائص الصوتية في قصيدة البردة

✓ الموسيقى الخارجية :

لقد اختار البوصيري لقصيدته وزن البسيط التام المخبون، والمعروف أن هذا البحر أحد أبحر ثلاثة، فقد كثر دورانه على السنة الشعراء في مختلف العصور وهي: الطويل والبسيط والكامل.

كما أنه اختار لها روي الميم المكسورة مثل :

لعل رحمة ربّي حين يقسمها تأتي على حسّب العصيان في القسم
يا ربّ واجعل رجائي غير منعكس لديك ، واجعل حسابي غير منخرم

فساعده هذا على إطالة نفسه في هذه القصيدة، ولا بد لنا أن نذكر أنّ هذا الوزن والروي الميمي وحركته المكسورة له أثره الواضح لدى الشعراء البديعيين النبوية ممّا جعلهم

1 مصطفى حركات، الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، مذكرة نيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، ص48.

2 مصطفى حركات، الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، مذكرة نيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، ص51.

يحافظون عليهما، ويلتزمونهما في معارضتهم لبردة البوصيري التي ضمّنها بديعياتهم المختلفة.

ويضاف إلى ذلك ظهور الجرس الموسيقي، فطبيعة هذا الوزن أولاً، وأئتلاف اللفظ والتراكيب ثانياً، ثم اشباع حركة الروي المكسورة في القافية ثالثاً، كل ذلك ساعد على هذه التموجات الموسيقية التي تشدّد حيناً وتلين حيناً آخر، بين أسلوب خبري وآخر طلبى منفعل، وهذا ما أكسبها اللون الموسيقي الجذاب.

فهذا هو هيكل القصيدة بشكل عام حيث نجد أن البوصيري أخذ الوزن الذي جاء من بحر البسيط، كما أخذ الروي فكان حرف الميم.

✓ الموسيقى الداخلية :

لقد كانت الموسيقى الداخلية ناجحة بدورها مما ساعد على تناغم الجمل والمفردات، وهي موسيقى هادئة توحى ما يفيض على قلبه من حب واحترام للرسول. وتتجلى الموسيقى الداخلية عن طريق عدّة وسائل تكوّن الإيقاع الداخلي، وتساعد على إبراز النغم الموسيقي ومنها مايلي:

- التكرار والتجنيس والزام ما لم يلزم: وقد ذكرناهم في المطالب السابقة.
- التصريع: وهو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت، وآخر في عجزه فب الوزن والروي والإعراب¹ مثل ما جاء في مطلع قصيدة البردة :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

- السجع: وهو أن تأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو بعضها بأسجاع غير متزنة بزنة على روي البيت²، ومثال ذلك كما جاء في البردة :

سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر في دأج من الظلم

ثالثاً: لغة البوصيري في قصيدته

لو حاولنا تقويم ألفاظ الشاعر وتراكيبه اللغوية، لوجدناه على الرغم من تكلفه أحياناً للبديع، وذلك داء عصره الذي لم يستطع التخلص منه، يجمع في أسلوبه كل سمات الجمال

1 صفى الدين الحلي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن لبديع، ص188.

2 صفى الدين الحلي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن لبديع، ص194.

الأسلوبي من حيث العذوبة والرقّة والرخامة مع السهولة والسلاسة حتى يصل أحيانا إلى السهل الممتنع.

أما تراكيبه وصوره ومعانيه، فقد اعتمد فيها على الأساليب العربية الأصيلة التي اقتبس منها التراكيب والمعاني.

ونجد أن مفردات لغته كانت سهلة جداً ما عدى بعض الألفاظ الصعبة مثل: العنم، يضمّي، يصم، البهار... إلخ

كما نجده أيضا أنه نوع في أسلوبه ما بين الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير.

الصور البيانية الموجودة في القصيدة :

لقد نوع البوصيري في البيان من تشبيه ومجاز واستعارة، وذلك لتمتعه بالإبداع والخيال وحسن التصوير، ونذكر من ذلك مايلي:

*أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

الصورة البيانية في قوله: (مزجت دمعا) كناية عن صفة وهي كثرة البكاء .

*فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بدم

الصورة البيانية في قوله: (ناطق بدم) كناية عن متكلم شاعرا كان أو خطيبا، وهي كناية عن موصوف .

*ايحسب الصّب أن الحب منكم ما بين منسجم منه و مضطرم

في قوله: (مضطرم) استعارة شبه شدة خفقان القلب باضطرام النار بجامع الاضطراب في كلّ، ثم اشتق من الاضطرام بمعنى الخفقان مضطرم، فالاستعارة تصريحية تبعية.

*فكيف تنكر حبا بعدما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم

الصورة البيانية في قوله: (شهدت) استعارة حيث شبه الدلالة الواضحة على عشقه بالشهادة بجامع الوضوح في كلّ، ثم اشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت فالاستعارة تصريحية، ويجوز أن نقول: شبه الدمع والسقم بشاهدين أمام قاض بجامع الإبانة في كلّ، ثم حذف المشبه به و كنى عنه بشيء من لوازمه و هو شهدت على سبيل الاستعارة المكنية.

*وأثبت الوجد خطي عبرة و ضني مثل البهار على خديك والعنم .

الصورة اليبانية في قوله: (أثبت الوجد) مجاز عقلي لأن إسناد الإثبات إلى الوجد غير حقيقي وهو من إسناد الفعل إلى سببه.

وفي قوله: (خطي عبرة... الخ) تشبيهان كل منهما تشبيه مرسل مجمل، شبه العبارة بالعلم وحذف وجه الشبه وهو الحمرة، وشبه الضنى الظاهر على الوجه بالبهار وحذف وجه الشبه وهو الصفرة وذكر أداة التشبيه.

*عدتك حالي لا سرّي بمستتر عن الوشاة، ولا دائي بمنحسم.

الصورة البيانية في قوله: (لا سري بمستتر) استعارة شبه انكثام السر بالاستتار، بجامع الخفاء في كل، ثم اشتق من الاستتار بمعنى الانكثام مستتر بمعنى منكم، فالاستعارة تصريحية.

*إني اتهمت نصيح الشيب في عدل والشيب أبعد في نصح عن التهم.

الصورة اليبانية في قوله: (نصيح الشيب) استعارة شبه الشيب بإنسان ينصح بجامع الإندار في كل، وحذف المشبه به و كنى عنه بشيء من لوازمه وهو النصح على سبيل الاستعارة المكنية.

*فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم.

في البيت تشبيه ضماني، شبه النفس تقوى شهوتها بالمعاصي بالنهم تقوى شهوته بكثرة الطعام *والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وأن تقطمه ينفطم.

في البيت تشبيه مرسل مفصل، ذكرت فيه الأداة ووجه الشبه، شبه النفس بالطفل بجامع أن كلاً ينشأ على ما تعود.

*كأنما الولؤ المكنون في صدف من معدني منطق منه ومبتسم.

في البيت تشبيه شبه جنس الولؤ في محاره بجنس كلامه في مبسمه صلى الله عليه وسلم، فالتشبيه تمثيلي مقلوب.

*واستقرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم.

الصورة البيانية في قوله: (حمية الندم) تشبيه شبه الندم بالحمية بجامع أن كلاً يعصم صاحبه ويردعه، فالتشبيه بليغ من إضافة المشبه به إلى المشبه.

• الحقول الدلالية:

الحقول	الدلالات
المدح	الجميل، أوقره، المحارم، محضاك، الشمم، زهده، سيد الكونين، نبينا الأمر الناهي، أبر، شفاعته، كرم، بارئ، محاسن، مدحا، شرف، عظم، فضل، الوري، خير خلق الله، البشر، زانه، الترف، اللؤلؤ المكنون، الصدق، خير البرية، تبارك الله، كرم الأخلاق والشيم، تبيض الوجوه به، الصراط، النعمة العظمى.
الغزل	الحب، الهوى، همتا، الصب، العذري، المحب، هواها، الحبيب، ملتثم، اللمم، قرت بها عين، قلوب، منكم، السقم، الوجد، سرى طيف، العدل، لذة، راعها.
الفرح	قري، الخير، مبتسم، الحق، تهتف، أبرأت، راحت، الذر، القيم، ظفرت، بشرى، العناية، لاتقنطي.
الحزن	الدمع، الوجد، العبرة، الضنى، الألم، السوء، الغواية، السم، الدسائس، الموت، الضر، الهول، البؤس، ساء، حزنا، السأم، حسود، راعت، الندم.
الجهاد	عسكر، اللجم، حشم، منهزم، أبطال، الذروع، الغرة، الدهم، حوريت، حرب، الأعادي، قاب قوسين، معترك، القرم، ودوا الفرار، يسطو، شاكبي السلاح، ظهور الخيل.
الطبيعة	الريح، البرق، الحجارة، البحر، الديم، الشمس، كوكبها، الزهر، تريا، النهر، الماء، الأرض، الحصى، الأشجار، القمر، الندى، العرم، موج، الورد، سحب.

فالبوصيري يتمتع بقوة الألفاظ والتراكيب وتنوعها، وهذا ما ساعده على التنوع في

مفردات قصيدته.

الفصل الثاني:

بردة البوصيري

المبحث الأول: التعريف بالبوصيري

المطلب الأول: حياة البوصيري

هو أبو عبد الله، شرف الدين، محمد بن سعيد بن حماد، وهو مغربي الأصل حيث يعود نسبه إلى قبيلة "صنهاجة"¹ المغربية ولد في "دلاص"² في أول شوال سنة 608هـ، ونشأ في "بوصير"³ وتلقى علومه الأولى فيها، ثم ارتحل إلى القاهرة وفيها بدأ رحلته العلمية، حيث درس العلوم الدينية والتاريخ الإسلامي، وبعض العلوم العربية كالأدب والنحو والصرف والعروض، كذلك أخذ التصوف عن "أبي العباس المرسي"، ورغم العلاقة المتينة التي ربطته بشيخه "المرسي" وتشربه لتعاليم الصوفية التي بدا أثرها واضحا في شعره، إلا أنه لم يقوَ على متطلبات التصوف، وقد اعتذر عن ذلك لقوله:

أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيْنٌ وَهُوَ حَرْبٌ لَسْتُ فِيهِ، وَلَا مِنْ النُّظَارَةِ.

وقد برر عدم تمكنه من القيام بواجبات التصوف بالفقر وكثرة العيال، حيث قال:

أَثْقَلْتُ ظَهْرِي الْيَالَ وَقَدْ كُنْتُ بَتَ زَمَانًا بِهِمْ خَفِيفَ الْكَارِهِ⁴.

لو أنني وحدي لكنت مريدا في رباط أو عابد في مغارة.

كذلك ألم "البوصيري" لمبادئ الحساب، وتزود بثقافة كتابة الديوان وقد باهى بإتقانه للأعمال الحسابية، حيث قال:

إني امرؤُ حُرْفَتِي الْحِسَابِ فَلَا يَدْخُلُ رَيْبٌ عَلَيَّ فِي حِسْبِهِ⁵.

ودرس "البوصيري" أيضا الإنجيل والتوراة، كما درس تاريخ ظهور المسيحية وما ألفه النصارى واليهود من كتب في شرح الديانتين والإنتصار لهما، وقد مكنه ذلك من التصدي لمزاعم اليهود

1 صنهاجة إحدى قبائل البربر وأصل وطنها الصحراء الجنوبي المغرب الأقصى.

2 دلاص، قرية من قرى مدينة بني سويف وكانت أمه من دلاص.

3 بوصير، هي بوصير قراديس من قرى بني سويف أيضا، وكان أبوه من بوصير.

4 خفيف الكاره، خفيف الحمل.

5 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط4، دار المقداد للطباعة، غزة، 2005م، ص817.

والنصارى وأباطيلهم، حيث استلهم في مجادلتهم لهم بعض نصوص التوراة والإنجيل، وأقام الحجج المنطقية والتاريخية على بطلان ما ذهبوا إليه، وتعد قصيدته "المخرج والمردود على النصارى واليهود" وتعليقه عليها، خير شاهد على ذلك، وهي قصيدة مفرطة الطول، حيث يقول في مطلعها:

جاد المسيح من الإله رسولا فأبى أقل العالمين عقولا.
 قوم رأوا بشرا كُراما فادّعوا من جهلهم لله فيه حلولا.
 وعصابة ما صدقته وأكثرت بالإفك والبهتان فيه القيلا.
 لم يأت فيه مُفرط ولا مفرط بالحق تجريحا ولا تعديلا.
 فكأنما جاء المسيح إليهم ليكذبوا التوراة والإنجيلا.
 فاعجب لأمته التي قد صيرت تنزيها لإلهها التنكيلا.

ورغم فقر "البوصيري" وكثرة عياله فإنه لم يقبل وظيفة لم يتقنها، ولا يستطيع القيام بواجباتها، حيث عُرِضَ عليه أن يكون محتسب القاهرة، إلا أنه اعتذر عن هذه الوظيفة بقوله:

لا تظلموني وتظلموا الحسبة فليس بيني وبينها نسبة.
 غير في البيع والشرا درب وليس في الحاليتين لي دُرية.¹

و"البوصيري" كغيره من شعراء عصره، عانى من انصراف الأمراء والميسورين عن الشعر، وبخلهم على الشعراء، وقد صور بخل الممدوحين في أكثر من قصيدة ومن ذلك قوله:

لا تكني إلى سواك فأخيا رُ زمني لا يمنحون خياره.
 ووجوه القصاد فيه حديد وقلوب الأجواء فيه حجارة.²

وإنه لم يحقق بشعره منصبا ولا جاها، بل عاش حياته يعاني من العيش وقلة الرزق، وعدم المقدرة على تحمل تبعات أسرة كبيرة وامرأة ولود، وتكاد لا تخلو مدحة من مدائحه من الحديث عن سوء حاله، وما يعانيه من امرأته التي أثقلت كاهله بكثرة إنجابها، ومن ذلك قوله:

1 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 10.

2 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 11.

إن زرتها في العام يوماً أنتجت وأنت لستة أشهر بـغلام.

أو هذه الأولاد جاءت كلها من فعل شيخ ليس بالقزام.

وأظن أنهم لعظم بليتي حملت بهم لا شك في الأحلام.¹

هكذا كانت حياة "البوصيري" رحلة صراع مع الفقر والحرمان، تلك الرحلة التي انتهت بموته

سنة 659هـ.² ويقول آخرون أنه توفي بالإسكندرية ودُفن بها، وقبره مشهور يُزار.³

المطلب الثاني: شاعرية البوصيري

نظم البوصيري الشعر من حداثة سنه وله قصائد كثيرة، ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة، وجمال التعبير، والحس المرهف، وقوة العاطفة، واشتهر بمدائحه النبوية التي أجاد استعمال البديع فيها، كما برع في استخدام البيان، ولكن غلبت عليه المحسنات البديعية في غير تكلف.

وقد جار "البوصيري" في كثير من شعره شعراء عصره في استعمال الألفاظ المولدة كما كانت له تجارب عديدة في الأهاجي المقدعة، ولكنه مال بعد ذلك إلى حياة الزهد واتجه إلى شعر المدائح النبوية.⁴

• المدائح النبوية:

أقترن اسم "البوصيري" بفن المدائح النبوية، فهو فارس هذه الحلبة الذي لا ينازع، وهو أستاذ هذا الفن الذي جذوره. بالرغم من تأخر عصره، وكثرة سابقه، وبردته هي الأنموذج الذي احتذاه الشعراء بعده رغم سبق بردة كعب لها بمئات السنين، فعلى بردته عكف الدارسون والشعراء بالشرح والتحليل، واستلهاهم معانيها وألفاظها بالتضمين والتشطير والتخميس والمعارضة.⁵

1 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص13\12.

2 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص14.

3 أحمد الإسكندري، مصطفى غاني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط1، وزارة المعارف العمومية، مصر، 1919م، ص260.

4 البوصيري، الديوان، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1973م، ص02.

5 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط04، ص15.

وبما أن قصيدته البردة هي أشهر شعره، فإنها أيضا من أهم عوامل اشتهار "البوصيري" نفسه، وذلك لأنه إلى جانب جودتها الفنية قد حيك حولها الكثير من القصص والروايات التي رفعتها أحيانا إلى درجة من درجات التقديس، فالبعض يضع لقراءتها شروطا لم توضع لغيرها من كلام البشر من ذلك: الوضوء، استقبال القبلة، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، وأن يكون القارئ عالما بمعانيها... وبعض أبياتها يشفى الناس من العلل والأمراض التي ألت بهم، ويحفظ أبياتها يتقرب الناس من المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرونه في المنام إلى غير ذلك من اعتقاد الناس بهذه القصيدة¹

يذكر "البوصيري" في معرض حديثه عن المولد النبوي الشريف الكثير من المعجزات التي واكبت ذلك المولد، كانصداع إيوان كسرى، وخمود نار الفرس، وجفاف ماء بحيرة ساوة، وانقراض الشهب من السماء على الأصنام وتدميرها، وغير ذلك مما نراه في مثل قوله:

أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم.

يوم تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا الجلول البؤس والنقم.

وبان إيوان كسرى وهو متصرع كشم أصحاب كسرى غير ملتئم.²

ويسترسل "البوصيري" في عرض ألوان المعجزات التي واكبت الدعوة المحمدية. كقدوم الأشجار وسجودها بين يدي المصطفى،³ وسير العمامة فوق رأسه صلى الله عليه وسلم لتقيه حر الشمس، وما صنع الحمام والعنكبوت على باب غار حراء، وما في الإسراء والمعراج من أوجه الإعجاز... ثم ينتقل لحديث عن الجهاد، فيسهب في وصف البطولات الإسلامية، وفي ختام برده يعود البوصيري للتأكد على معجزة القرآن الكريم، وتوضيح بعض جوانبها، ثم يبين سبب نظم قصيدته وهو التقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليحظى بشفاعته، من ذلك قوله:

1 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط4، ص16.

2نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط4، ص23.

3 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط4، ص25.

خدمته بمديح أستقبل به
 إذ قلداني ما تخش عواقبه
 ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم.
 كأنني بهما هدى من النعم.¹
 أطعت عني الصبا في الحالتين وما
 حصلت إلا على الآثام والندم.
 فيا خسارة نفس في تجارتها
 لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم.
 ومن يبع آجلا منه بعاجله
 بين له الغين في بيع وفي سلم.²

وبدا "البوصيري" بردته بالنسيب سيرا على عمود القصيدة العربية، ومع ذلك فقد استطاع الموائمة بين المقدمة الغزلية والموضوع، فبينما يحدثنا على الشوق ولوعة الوجد، فإنه لا يتركنا نذهب بخيالنا بعيدا عن غرضه، فأطلال المحبوبة هي من قبل ديار الممدوح والريح التي تعمل شذى المحبوبة هي الريح التي تعطرت بشذا الممدوح، وميض البرق الذي هدى الشاعر لديار المحبوبة هو الوميض الذي كشف الغمة وأنار طريق الهداية للبشر أجمعين، لأنه ينبعث من الموطن الذي شهد ميلاد الممدوح.³

فالشاعر نظم بردته وهو في خريف العمر، ومع هذه السن المتأخرة تنتقي جميع الصبوات الحسية، ويتأكد لنا أنه ما تحدث إلا عن شوقه لديار الرسول صلى الله عليه وسلم، وما تبعته في نفسه من لوعة قلبية صادقة نحو المصطفى، لذلك رأيناه يحّر من اتباع النفس وهواها قبل أن ينتقل للحديث عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، ويمثل قوله:

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى
 وشد من شغب أحشاه وطوى
 أن اشتكت قدماه الضر من روم.
 تحت الحجارة كشحا مترف الأدم.
 عن نفس فأراها أيما شمم.⁴
 وراودته الجبال الشم من ذهب

1 الهدى: ما يهدي إلى الحرم ليذبح.

2 السلم في البيع هو البيع المؤجل الدفع.

3 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 17.

4 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 221.

وبعد ذلك يستغرق "البوصيري" في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتتوارد الصور الشعرية الرائعة التي تبين بعض صفاته صلى الله عليه وسلم تباعا، من ذلك قوله:

فإن فضل رسول الله ليس له
لو ناسبت قدره آياته عظما
لم يمتض بما تعيا العقول به
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى
حد فيعرب عنه ناطق بفم.
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم.
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم¹.
في القرب والبعد فيه غير منفحم².

المطلب الثالث: خصائص شعر "البوصيري"

يبدو على شعر "البوصيري" طابع الرقة وخفة الروح والميل إلى الدعابة في غير الموضوعات الدينية، وهو قريب في غير شعره الديني من روح شعراء المصريين في عصره ممن عرفوا بالظرف وخفة الروح أمثال "البهاء زهير" و"ابن مطروح" و"الحسين الجزار" و"السراج الوراق". ويمكن تقسيم شعره إلى قسمين أساسيين، الأول: شعره الإجتماعي، في المديح والهجاء وشكوى الحال وما إلى ذلك من أمور الحياة والعيش. والثاني: في المدائح النبوية. والأول بسيط في روحه وأسلوبه قريب إلى الروح الشعبي لغة وتعبيرا، يمتزج بخفة روحه وظرفه، والثاني قوي رصين يدوى الصياغة يميل فيه إلى التقليد للقدمات في تعبيراتهم وصورهم المشتقة من بقاع الجزر المشهورة التي تداول ذكرها شعراء الحجاز وشعراء المدائح النبوية³. وإن شعر "البوصيري" يتردد بين قوة الأسلوب وسهولته، وعمق المعاني وقربها، وحرارة العاطفة وفتورها، وخصوبة الخيال وضموره... فعناصر الشعر عنده غير مستقرة الخصائص، إذ تختلف بين قصيدة وأخرى حسب اختلاف الباعث والموضوع، وقد تختلف أيضا داخل القصيدة الواحدة، فخاصة تلك القصائد الطوال التي اشتملت على عدة موضوعات.

1 لم نصم: لم نصل.

2 المنفحم: الساكن عجزا في المناظرة.

3 محمد زغول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ط1، دار المعارف، مصر، 1119، ص266.

فالعاطفة الصادقة التي تتجلى في المدائح النبوية، والتي تصدر في معظمها عن حرارة الإيمان، وتظهر صدق التوجه في التعبير عن اللوعة القلبية نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، وتمجيد صفاته، ووصف بطولات هذه الأبرار وتتبع أحداث مسيرته العطرة، إنما يتبعها جزالة في الألفاظ ورصانة في الأسلوب وجودة في المعاني وجمال في الصور والتشبيهات¹.

ويمكن ملاحظة هذا بسهولة في الكثير من نماذج المدح النبوي، وللتأكيد على ذلك هذه

الآبيات التي تدل على براعة "البوصيري" في وصف جند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم	بكل قدم إلى لحم العدا قدم.
يجر بحر خميس فوق سابحة	يرمي بموج من الأبطال ملتطم.
من كل منتدب لله محتسب	سيطر بمستأصل للكفر مصطلم ² .

ويعكس هذا الأنموذج براعة "البوصيري" في تخير ألفاظه لنتناسب مع المعاني التي يريد التعبير عنها، إنها الألفاظ الجزلة. ذلك الإيقاع الصوتي الشديد، الذي يتناسب مع ضجيج المعركة، إذ يسمعنا رنين حروفها جلبة المعركة، قبل أن تنتقلنا معانيها وأخيلتها لتتبع مشاهد تلك المعركة وتحركات الجند فيها...

أما إذا انتقل "البوصيري" إلى الدعابة والسخرية فإن لكل مقام مقال، حيث تتجلى سهولة لفظه، وسماحة تراكيبه، وقرب معانيه، وخفة ظله، وسماحة عشرته³.

إن سهولة اللفظ لم تحل بفصاحته، وإنما تقربه من الروح الشعبية التي تألف الألفاظ اللينة، وتتسجم مع الأساليب السهلة التي لا يحار الفكر في فهمها.

1 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 78.

2 القرم: السيد والقرم بالتحريك شدة الشهوة للحم، وفيها جناس.

3 الخميس: الجيش السابحة، الخيل.

ومن حيث بناء القصيدة، فقد لاحظنا عزوف "البوصيري" عن مجازاة القدماء في السير على عمود القصيدة العربية، فالمقدمة الطللية بمكوناتها تكاد تختفي في الكثير من قصائده، وقد لاحظ "البوصيري" ذلك فبرره أحيانا بمثل قوله:

مدح النبي أمان الخائف الوجل
فامدحه مرتجلا أو غير مرتجل.
ولا تشبب بأطوان ولا دمن
ولا تعرج على ريع ولا تطل¹.

ونتهي الحديث عن خصائص شعر "البوصيري" بتتبع أثر البيئة في شعره، وتبين أهم ما يميزه في هذا الجانب، ونبدأ بالحديث عن أثر البيئة الزمانية، فقد عاش "البوصيري" في عصر الصراع العقائدي والحروب الدينية، وقد تجلّى أثر ذلك الصراع في معاني وموضوعات شعره، وفي قصيدته "المخرج والمردود" . ناقش التزييف والتحرّيف الذي أصاب العقيدة المسيحية، وفي مدائحه النبوية قابل كل ما سبق بتمجيد العقيدة الإسلامية والإشادة بفضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأمجاده، وهذا بالإضافة إلى ما يلاحظ من انتشار المعاني الدينية في معظم قصائده².

أما البيئة المكانية فقد تركت بعض بصماتها على صور وتشبيهات "البوصيري"، ويبدو أثر الثقافة التي كانت منتشرة في تلك البيئة واضحا في شعر "البوصيري" فولوع الشعراء في عصره بالزركشة اللفظية، والمحسنات البديعية نرى الكثير من شواهد في ما ذكره من ألوان شعر "البوصيري" ومباهاة الشعراء بمعارفهم العروضية والنحوية³.

1 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 81.

2 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 87/86.

3 نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ص 90.

المبحث الثاني: قصيدة البردة

المطلب الأول: التعريف بالبردة

تعد البردة عزة المدائح النبوية التي داع في الآفاق صيتها، وترنمت المجالس والمحافل بأبياتها.

البردة من أشهر ما قيل في الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا عارضها كثيرون، منهم "أحمد شوقي" في نهج البردة¹.

تسمى أيضا بقصيدة البراءة أو الكواكب الدرية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم، أحد أشهر القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كتبها "محمد سعيد البوصيري" في القرن السابع هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي، وقد أجمع معظم الباحثين أن هذه القصيدة من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوي، إن لم تكن أفضلها.

حتى قيل أنها من أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة، وقد انتشرت هذه القصيدة إنتشارا واسعا في البلاد الإسلامية، يقرأها بعض المسلمون في معظم بلاد الإسلام كل ليلة جمعة، وأقاموا لها مجالس عرفت بمجالس البردة الشريفة أو مجالس الصلاة على النبي.

يقول الدكتور "زكي مبارك": «البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة عرفوا أبواب من السيرة النبوية، وتلقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم².

1 محمد يحيى الحلو، طلاب المعاهد والجامعات البردة شرحا وإعرابا وبلاغة، ط3، دار البيروتية، دمشق، 2005، ص615.

<https://ar.in.wikipedia.org/wiki/2>

سميت بالبراءة وذلك لأن "البوصيري" قد برئ بها من الفالج الذي أبطل نصف جسمه، وسميت أيضا قصيدة الشدائد، حيث زعموا أيضا أن قراءتها تفرج الشدائد، وتيسر كل امر عسير¹، وقد ترجمت إلى عدة لغات، من ذلك الإنجليزية والفرنسية والألمانية، كما طبعت عشرات المرات، وهي تطلب بالألوف.

المطلب الثاني: سبب نظم القصيدة

يقول "البوصيري" عن سبب نظمه لهذه القصيدة: «كنت قد نظمت قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، منها ما اقترحه عليّ الصاحب "زين الدين يعقوب بن الزبير"، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وقررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ برده، فانتبهت ووجدت في نهضته. فقامت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا. فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إنني سمعتها والبارحة وهي تشتد بين يدي رسول الله، وأعجبته وألقى علي من أنشدها بردة. فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك وساعة الرؤيا².

1 البوصيري، الديوان، ص 29.

2 <https://ar.in.wikipedia.org/wiki>

الحمد لله

من خلال بحثنا المتواضع نرجو أن نكون قد وفقنا في استخلاص أهم النتائج وهي كالتالي :

✓ أن العصر المملوكي عدّ من العصور التي تميزت بالضعف والإنحطاط في تلك الحقبة.

✓ أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية المتداولة في ذلك العصر.

✓ الضعف الموضوعي في الأدب الذي يظهر في اختيار الموضوعات غالباً للتعبير عن فكرة قصيرة.

✓ هلهلة البناء والصياغة التي نشأت عن توخي السهولة وعدم الرغبة في بذل الجهد.

✓ قلة الإبتكار والميل إلى التضمين والإقتباس.

✓ معظم شعر البوصيري في المديح النبوي.

✓ من خلال بحثنا عرفنا أن التجنيس والتكرار اللفظي والزام ما لم يلزم والإيقاع الموسيقي واللغة من أهم الخصائص التي اعتمدها البوصيري في قصيدته البردة.

✓ اعتبر البوصيري أنّ العصر المملوكي ليس بعصر ضعف بل هو الآخر فيه التجديد والإبداع كغيره من العصور.

✓ أهم نتيجة يمكن أن نستخلصها هي أن عصر الضعف له ميزات وسمات ينفرد بها عن غيره من العصور الأخرى.

هذه النتائج هي أبرز ما حاولنا التركيز عليها في طيات هذا البحث، والمتعلق بدراسة الخصائص اللغوية للقصيدة العربية في عصر الضعف والإنحطاط من خلال التطبيق على قصيدة البردة للبوصيري.

ونختم بحثنا بالحمد لله ورسوله الهداية والوفيق لتمسك به، ونرجو منه أن نختم حياتنا بصالح الأعمال، إنه نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

- 01- ابن خلدون، المقدمة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1321هـ.
- 02- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج6، ج43، ج45، ج52، بيروت، لبنان.
- 03- أبو العباس عبد الله ابن المعتز، البديع، تحقيق عرفات مطوحي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012م.
- 04- أحمد الإسكندري، مصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط1، وزارة المعارف العمومية، مصر، 1919م.
- 05- بدر الدين ابن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسن عبد الجليل يوسف، ط1، مكتبة الآداب المصرية، 1989م.
- 06- البوصيري، الديوان، تحقيق محمد سيد كيلاي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، ط2، القاهرة، 1973م.
- 07- تقي الدين المقرئ، السلوك لمعرفة دولة الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م.
- 08- خليل خالد أبو علي، الأدب العربي بين العصرين المملوكي والعثماني، دار مقداد للطباعة، غزة، 2007م.
- 09- صفي الدين الحلبي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق نسيب نشاوي، ط1، دار صادر بيروت، 1982م.
- 10- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ج3، 2008م.
- 11- محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ط1، دار المعارف، مصر، 1119م.
- 12- محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي، مصر، 1957م.

- 13- محمود سالم محمد، ابن نباتة شاعر العصر الأموي، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1999م.
- 14- محمود سالم محمد، الأدب المملوكي والعثماني، ط1، جامعة دمشق، بيروت، حقوق الطبع والتصوير محفوظة للناشر، 1999م.
- 15- محمود يحيى الحلو، طلاب المعاهد والجامعات البردة شرحا وإعرابا وبلاغة، ط3، دار البيروتي، دمشق، 2005م.
- 16- مصطفى حركات، الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، مذكرة نيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر.
- 17- مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي للعصر المملوكي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003م.
- 18- الموقع الإلكتروني <https://char3iyaasill.skyrock.com>
- 19- الموقع الإلكتروني: <https://ar.in.wikipedia.org/wiki>
- 20- نبيل خالد أبو علي، البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط4، دار مقداد للطباعة، غزة، 2005م.
- 21- نعيم الحمصي، نحو فهم جديد منصف لآداب الدول المتتابعة وتاريخه، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سوريا، ج1، 1982م.

الفهرس

رقم الصفحة	العنوان
أ	مقدمة
الفصل الأول: عصر الضعف والإنحطاط والخصائص اللغوية فيه.	
المبحث الأول: عصر الضعف والإنحطاط	
5	المطلب الأول: لمحة تاريخية عن عصر الضعف والإنحطاط
12	المطلب الثاني: حالة اللغة العربية في هذا العصر
14	المطلب الثالث: أدب عصر الضعف
المبحث الثاني: الخصائص اللغوية للقصيدة العربية في عصر الضعف والإنحطاط	
17	المطلب الأول: التجنيس
21	المطلب الثاني: التكرار اللفظي
23	المطلب الثالث: إلزام ما لا يلزم
24	المطلب الرابع: الإيقاع الموسيقي
الفصل الثاني: بردة البوصيري	
المبحث الأول: التعريف بالبوصيري	
31	المطلب الأول: حياة البوصيري
33	المطلب الثاني: شاعرية البوصيري
36	المطلب الثالث: خصائص شعر البوصيري
المبحث الثاني: قصيدة البردة	
39	المطلب الأول: التعريف بالبردة
40	المطلب الثاني: سبب نظم قصيدة البردة
41	خاتمة
قائمة المصادر والمراجع	